حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر*

السؤال الذي أود أن أتناوله في هذا المقال هو : هل حقق إدخال اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة بكليات جامعة الأزهر وبالمعاهد الأزهرية الغرض المأمول منه ؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي أولا استعراض الأهداف التي من أجلها أدخلت هذه اللغات الأجنبية ، وأيضا استعراض موجز لتاريخ الدعوة لإدخال هذه اللغات ، ثم إدخالها الفعلي ضمن مناهج الدراسة بالأزهر.

ولنبدأ بتاريخ الدعوة إلى تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر ، وهي ترجع إلى عام ١٣٢٢ من الهجرة (عام ١٩٠٤ من الميلاد) حينما نادى فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمد الأحمدي الظواهري بتدريس اللغات الأجنبية في الأزهر وذلك في كتابه "العلم والعلماء ونظام التعليم" ، والذي رأى فيه أن يضاف إلى العلوم التي تدرس بالأزهر كثير من العلوم الحديثة وتاريخ الملل والمذاهب والآراء واللغات الأجنبية[١].

وفي عام ١٣٤٢ هـ (حوالي ١٩٢٤ م) قام الشيخ عبد المتعال الصعيدي بنشر كتاب بعد الانتهاء من تأليفه بخمس سنوات بعنوان : "نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف" وفيه يدعو – ضمن ما يدعو – إلى تعليم اللغات الأجنبية بالأزهر ، وإلى إرسال بعثات أزهرية إلى أوروبا[٢].

وفي سنة ١٩٢٨ دعا فضيلة شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغي إلى دراسة تاريخ وفقه اللغات ، وليس اللغات من حيث هي لغات ، غير أنه ذكر أن الشعوب الإسلامية سوف تطلب من بين خرجي الأزهر علماء ومدرسين وقضاة خاصة إذا ما

---

* **الأزهر** ، شعبان ١٤٠٣ هـ – مايو ١٩٨٣ م ، ص ص ١٠٩٦ – ١١٠٥.

(١) فضيلة الشيخ محمد الأحمدي الظواهري ، **العلم والعلماء ونظام التعليم** ، طنطا ، ١٩٠٤.

(٢) فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدي. **تاريخ الإصلاح في الأزهر**. القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٣ الطبعة الثانية ١٩٥١ ، ص ٢١٠؛ وأيضا ص ٢١١ التي تحتوي على نص مقال نُشر في جريدة **البلاغ** بتاريخ ١٦فبراير ١٩٣٠.

تمت لهم دراسة لغات معينة[1].

وبالرغم من أن الدعوة إلى تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر ترجع ـ كما يتضح مما سبق ـ إلى عام ١٩٠٤ م ، إلا أن الدراسة الفعلية لهذه اللغات قد بدأت بصورة جزئية عام ١٩٣٠ عندما أصبح لزاما على طلاب الدراسات العليا في كلية أصول الدين (قسم تخصص المهنة ، ومدته عامان) أن يختاروا بين دراسة لغة أجنبية ، شرقية أو غربية ، وذلك ضمن برامج الدراسة للحصول على "العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد" من تخصص الوعظ.

ولما تم تعديل مناهج الدراسة في الأزهر بمقتضى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ الذي ظل معمولا به حتى صدور قانون التطوير عام ١٩٦١ ، تم إدخال اللغات الأجنبية في جميع سني الدراسة الست (التي تضم أقسام العالمية ومدتها أربع سنوات، وأقسام الإجازات العالمية ومدتها سنتان) في كليات الأزهر الثلاث في ذلك الوقت (أصول الدين، والشريعة ، واللغة العربية) ، فأصبحت دراسة اللغة الإنجليزية أو الفرنسية – باعتبارهما أوسع اللغات الأوروبية انتشارا في كثير من الدول الإسلامية – إجبارية بالنسبة للطلاب في كلية أصول الدين ، واختيارية في كليتي الشريعة واللغة العربية. كما كان الطلاب في كلية أصول الدين مطالبين أيضا بدراسة إحدى اللغات الشرقية في السنتين الأخيرتين من دراستهم بقسم إجازة الدعوة والإرشاد ، وذلك بصفة إجبارية أيضا. هذا بالنسبة للأقسام العالية ومدتها أربع سنوات.

أما بالنسبة لأقسام الإجازات لإعداد الطلاب للحصول على شهادة العالمية مع الإجازة (وعددها ثلاثة أقسام) ، فقد كان يمكن للطلاب في قسم إجازة التدريس التابع لكلية اللغة العربية ، وفي قسم إجازة القضاء الشرعي التابع لكلية الشريعة ، الاستمرار في دراسة اللغة الأجنبية التي قاموا بدراستها في القسم العالي إذا أرادوا هم ذلك. أما في قسم إجازة الدعوة والإرشاد التابع لكلية أصول الدين ، فكان على الطلاب دراسة

---

(١) مذكرة فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الأسبق المقدمة إلى الملك فؤاد ورئيس الوزراء في عام ١٩٢٨ والمنشورة بجريدة **الأهرام** في ٥ و ١٧ أغسطس ١٩٢٨.

اللغة الأجنبية بصفة إجبارية إلى جانب دراستهم لإحدى اللغات الشرقية بصفة إجبارية أيضا[1].

وبمقتضى القانون نفسه (٢٦ لسنة ١٩٣٦) أصبح الطلاب في قسمين من أقسام التخصص في المادة للإعداد للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ (ومدتها خمس سنوات) يدرسون مبادئ اللغتين العبرية والسريانية ، وهذان القسمان هما قسم التخصص في النحو والصرف وقسم التخصص في البلاغة.

هذا بالنسبة لجامعة الأزهر ، أما بالنسبة للمعاهد الأزهرية ، فقد بدأ تدريس اللغات الأوروبية بها يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨م) عندما تقرر أن يدرس الطلاب في ذلك العام اللغة الإنجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد ، كما أجاز القرار الصادر في هذا الشأن تدريس اللغات الفرنسية والألمانية والروسية في معهد القاهرة ، واللغة الفرنسية في معهد الإسكندرية[2] ثم كان إنشاء معهد اللغات والترجمة كأحد أقسام كلية اللغة العربية بمقتضى القرار الوزاري رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥ ، ثم تحول هذا المعهد إلى كلية قائمة بذاتها عام ١٩٧٦ تتويجا لإدخال اللغات الأجنبية. ومن بين اختصاصات المعهد (الكلية حاليا) كما جاء بقرار إنشائه الإشراف على تدريس اللغات الأجنبية (الأوروبية والشرقية) لطلاب "الإجازة العالية" بكليات الجامعة.[3]

ولننتقل الآن إلى أهداف تدريس اللغات الأجنبية كما تستشف من بعض الكتابات التي تناولت هذا الموضوع ، بما فيها القوانين التي فرضت تدريس هذه اللغات. فعلى سبيل المثال فإن حسنين (بك) يقول أن "الجامعة الأزهرية ترمي من دراسة اللغات

---

(١) محمد خليل حسنين (بك) ، **التجديد في الأزهر** ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٠ ، ص ص ٨-١١ ؛ **الأزهر في ١٢ عاما**. للجنة من العلماء ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٩٢ ؛ الصعيدي. **تاريخ الإصلاح في الأزهر** ، ص ١٢٥.

(٢) قرار بتنفيذ دراسة اللغات الأجنبية بالأزهر ، **مجلة الأزهر** ، ملحق مجلد ٣٠ جزء ٣ ، سبتمبر ١٩٥٨م.

(٣) **جامعة الأزهر في ظل التطور الجديد** ، القاهرة : العلاقات العامة بالأزهر ، ١٩٦٦ – ١٩٦٧ ، ص٥٠.

الأجنبية إلى غرضين :

أولهما : سد حاجة الأقطار الإسلامية الخارجية إلى وعاظ ومرشدين استجابة لطلباتهم المتلاحقة .. (بغرض) تعريفهم إلى فرائض دينهم وتعاليمه وأغراضه والوسائل المؤدية بهم إلى تأدية عبادتهم تأدية لا عوج فيها ولا التواء.

أما ثاني هذين الغرضين : فهو استخدام اللغة كوسيلة لتوسيع الآفاق الثقافية للطلاب وتشجيعهم على تبادل الآراء التي تتزاحم في شتى البيئات المستنيرة في هذا الوجود[1].

أما في بعض الأحيان فإن هدف تدريس اللغات الأجنبية يبدو أنه يشوبه شيء من التناقض، فنجد أن حسنين (بك) يؤكد أنه "لابد من توضيح حقيقة لا تخفى على أي أزهري ، وهي أن مهمة الوعاظ والمرشدين المبعوثين" من الأزهر إلى أي موطن إسلامي ليست هي الدعوة بين غير المسلمين لاعتناق الدين الإسلامي[2].

وهذا الرأي لا يمكن التغاضي عنه أو المرور به مر الكرام ، إذ إنه صادر عن الرجل الذي عهد إليه بمسئولية الآداب والعلوم في الأزهر كبيرا لمفتشيها ، وواحد ممن لهم بعض الفضل في إدخال اللغات الأوروبية إلى الأزهر. وهذا الرأي يتعارض تعارضا صريحا – مثلا – مع قول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت من أن "رسالة الأزهر هي الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين مختلف شعوب العالم"[3]. والتعارض منشؤه أن الإنسان لا يدعو للإسلام من هداهم الله إلى الإسلام بالفعل ، كما أن "مختلف شعوب العالم" لا تختص الشعوب الإسلامية دون غيرها.

أما قرار تأليف لجان للنظر في إدخال اللغات الأوروبية في المعاهد الأزهرية فإنه يشير إلى أن "الأزهر جامعة المسلمين الكبرى التي تحمل رسالة الثقافة الإسلامية في مشرق

---

(١) **التجديد في الأزهر** . ص ٢٨.

(٢) المرجع نفسه. ص ٢٨.

(٣) كتاب من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (الأسبق) إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة شيوخ المعاهد الدينية بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الأجنبية ، مجلة الأزهر ، سبتمبر ١٩٥٨.

الأرض ومغاربها من يعرف منهم اللغة العربية ومن لا يعرفها". كما يشير أيضا إلى أن "الأزهر بوضعه الحالي – نظرا لعدم توافر العلماء الذين يعرفون اللغات من أبنائه – غير قادر على تأدية رسالته على الوجه الأكمل"[1]. في هذه الدول الإسلامية.

وفي معرض الحديث عن بعض مآثر قانون التطوير لعام ١٩٦١ يقول الدكتور أحمد محمد عوف "وهذا التطوير أعطى لكليات الأزهر فرصة دراسة اللغات الأجنبية حتى لا تكون معرفة خريجي الأزهر قاصرة على (لغة العرب) دون غيرها من اللغات التي يجب أن تستوعب ليشق الخريج طريقة لتثقيف نفسه والارتفاع بمستواه العلمي ، ويكون قادرا على التعرف على الثقافات الأجنبية العالية"[2].

أما قانون ١٠٣/ ١٩٦١ نفسه فإنه ينص في مادته الثانية على أن الأزهر هو الهيئة التي "تحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب" ، وفي المادة الثالثة والثلاثين على أن رسالة جامعة الأزهر هي أن "تؤدي رسالة الإسلام إلى الناس" ، ولا يخفى على أحد هنا أن "كل الشعوب" تشمل الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية ، كما أن "الناس" يضمون المسلم وغير المسلم بل ومن لا دين له. وتمضي المادة نفسها (٣٣) فتقول إن هذه الرسالة التي تتحملها جامعة الأزهر هي تمكين "عالِم الدنيا للمشاركة في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، في داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها". وأنت تدعو إلى سبيل الله غير المسلم كما تدعو إليه المسلم ، بل إن دعوة غير المسلم قد تكون أوجب.

ولست أريد هنا أن أتطرق إلى هذا الأمر الذي يتعلق برسالة الأزهر عامة وبالهدف من تدريس اللغات الأجنبية به خاصة ، إلا بالقدر الذي تمليه حقيقة واضحة وهي أنه لكي نتبع المنهج الموصل إلى الهدف ، فلابد أولا من أن نحدد هذا الهدف وبكل وضوح قبل أن نشرع في اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيقه. أي أنه لابد أولا من الإجابة عن هذا

---

(١) قرار رقم ١١٥ بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٩ والمنشور بمجلة الأزهر. سبتمبر ١٩٥٨.

(٢) أحمد محمد عوف. **الأزهر في ألف عام**. القاهرة. مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الثاني عشر. إبريل ١٩٧٠. ص ١٤٨.

السؤال: هل هدف تعلم اللغات هدف ذاتي أي لتثقيف المتعلم نفسه كما يرى عوف ؟ أو أنه بهدف التخاطب مع الآخرين ؟ وإذا كان الأمر كذلك ؟ فهل هو التخاطب مع المسلمين وحدهم كما يرى حسنين (بك) أو معهم ومع غيرهم كما يُسْتَشَف من قول فضيلة الشيخ شلتوت ومن نصوص قوانين التطوير؟

والآن وقد مضى على إدخال اللغات الأوربية إلى جامعة الأزهر أكثر من نصف قرن* من الزمان ، وعلى إدخالها بالمعاهد الأزهرية ما يقرب من ربع قرن**، وعلى إنشاء كلية اللغات والترجمة سبعة عشر عاما*** ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه وبإلحاح والذي بدأنا به هذا المقال هو : هل حقق إدخال اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة بالأزهر الغرض المأمول منه ؟

والإجابة – على مرارتها ، وأنا أنتمي إلى جامعة الأزهر ، وإلى كلية اللغات والترجمة – أقرب ما تكون إلى النفي منها إلى الإيجاب ، وما يجعلها إلى النفي أقرب ، وليست إلى النفي القاطع أنه – إحقاقا للحق – هناك تجربة فريدة ورائدة في إحدى كليات الجامعة. وهذه التجربة تختص بها كلية الطب التي حاولت تدريس العلوم الإسلامية باللغة الإنجليزية "ليكون الطلاب ـ في مستقبلهم ـ قادرين على حمل رسالة الدين الإسلامي وشرح مبادئه واتجاهاته الإنسانية لشعوب آسيا وإفريقيا[1]". كما تختلف الصورة عن المألوف إلى حد ما في كلية المعاملات والإدارة التي تهدف من تدريس اللغات الأجنبية بها إلى أن تيسر للطالب الرجوع إلى المراجع العلمية ، وأن تمكنه من العمل في الحقل الخارجي في آسيا وإفريقيا[2]. وهو أمر وإن لم يكن يولى الدراسات الإسلامية الاهتمام الذي تستحقه فإنه يولي اهتماما بالمادة التي يتخصص فيها الطالب ، وهذا أضعف الإيمان.

---

* خمسة وسبعين عاما الآن.

** نصف قرن الآن.

*** أربعون سنة الآن.

(١) جامعة الأزهر في ظل التطور الجديد ، ص ٦٨.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٧.

وإذا كان السؤال الذي يدور حوله هذا المقال مهما ، فإن الأهم منه هو محاولة الإجابة عنه بقدر من مواجهة النفس والشجاعة الأدبية إن أردنا إصلاحا. وأولى هذه الأسباب ـ في رأيي ـ هو المقررات التي يتم تدريسها في المعاهد الأزهرية وفي كليات جامعة الأزهر ، وثانيها من يتولون تدريس هذه المقررات.

وأولى هذه الأسباب يرتبط ارتباطا وثيقا بالهدف من تدريس هذه اللغات ، وهل ينصب على تدريس بعض المفاهيم والعلوم الإسلامية باللغة الإنجليزية ، أو ينصب على العلم الذي يتخصص فيه الطالب في كليته باللغة الإنجليزية أو ينصب على تزاوج بين الأمرين ؟ وفي حقيقة الأمر فإنني إلى المزاوجة أميل ، وذلك – قطعا – دون المساس باللغة العربية التي تنص المادة السابعة والثلاثون من قانون التطوير على أنها هي "لغة التعليم في جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغة أخرى".

كما ينبغي أيضا الإجابة عن هذا السؤال : هل هدفنا من إنشاء كلية اللغات والترجمة هو تخريج مدرسين للمعاهد الأزهرية ؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب ، فما هو الهدف من بقية الأقسام بالكلية – عدا أقسام اللغة الإنجليزية والفرنسية والعبرية – وهي اللغات التي تدرس بالمعاهد الأزهرية وبجامعة الأزهر ؟ ولا بأس من أن يكون الهدف ـ ولو كمرحلة انتقالية ـ هو تخريج المدرسين للمعاهد ، وإن كنت أرى أن كلية التربية بالجامعة أولى بهذا الدور وأقدر على القيام به ، خاصة إذا توسعت في أعداد المقبولين بها ، ولو عن طريق تقديم بعض الحوافز للطلاب ، على أن يكون هدفنا النهائي هو أن تصبح كلية اللغات والترجمة كلية للترجمة فقط هدفها تخريج المترجمين الأكفاء من العربية إلى جميع اللغات التي لها أقسام بالكلية ، وبالعكس ، ونحن في حاجة ماسة إلى هؤلاء المترجمين المسلمين الأكفاء حتى لا نرى المترجمين من غير المسلمين وقد احتلوا مكان الصدارة في مؤتمراتنا الإسلامية ، وكأن معين المسلمين قد نضب ! ولقد كانت هناك بعض الجهود التي قام بها عميد الكلية الأسبق (المعهد حينذاك) الدكتور محمد محمود غالي للاهتمام بالترجمة الإسلامية ، غير أن جهوده أو محاولاته انتهت إلى إنشاء شعبة للترجمة الفورية تحولت فيما بعد إلى قسم قائم بذاته عندما تحول المعهد إلى كلية ، ثم

تحول القسم أخيرا إلى شعبة تابعة لقسم اللغة الإنجليزية ! ولم تؤت جهوده المشكورة ثمارها كما كان يتمناها وكما كنا نتمناها.

وليكن الهدف من تدريس اللغات الأجنبية هو أن يتمكن خريج جامعة الأزهر من أن يتناول تخصصه وأن يتناول الإسلام باللغة الأجنبية التي قام بدراستها ، وإلا فلا فرق بين خريجي جامعة الأزهر وغيرهم من خريجي الكليات المناظرة بالجامعات الأخرى فيما يتعلق بهدف تدريس اللغات الأجنبية. كما ينبغي أن نحدد هدف دراسة هذه اللغات. هل هو مخاطبة المسلمين وحدهم ؟ وهنا لابد من التركيز على العبادات والأركان ، أو مخاطبة غيرهم إلى جانبهم ، وهنا لابد من التركيز على العقائد وأوجه الاختلاف والتشابه بين الإسلام وغيره من الأديان ، السماوية منها وغير السماوية ، وأيضا على الرد على الافتراءات والأفكار الخاطئة عن الإسلام وتصحيحها.

ومما لا شك فيه أن تحديد الهدف من تدريس اللغات الأوروبية بالمعاهد الأزهرية أيضا سيترتب عليه ضرورة تغيير ما يدرس بها حاليا ـ وهو المنهج نفسه الذي يدرس بمدارس وزارة التربية والتعليم ـ وأذكر هنا بعض ما يؤسف له حين توليت تدريس اللغة الإنجليزية في معهدين من معاهد الأزهر الثانوية – بل في أكبر معهدين بالقاهرة. أحدهما للفتيات والآخر للبنين – من أن الطلاب لا يعرفون حتى أسماء أركان الإسلام الخمسة باللغة الإنجليزية ، بينما هم مطالبون – ضمن ما هم مطالبون به – بدراسة رواية لا طائل من دراستها ، بل ولا قدرة لهم عليها ، ومما يؤسف له أكثر أن هذا أيضا هو الحال بالنسبة لبعض كليات الجامعة التي تشرفت بتدريس اللغة الإنجليزية بها أيضا ومنها كلية أصول الدين وكلية المعاملات والإدارة.

ولنضع نصب أعيننا دائما أن الهدف من المعاهد الأزهرية ما كان يوما هو طبع نسخ مكررة من مدارس التربية والتعليم ، والشيء نفسه ينطبق على كليات جامعة الأزهر التي تنص المذكرة الإيضاحية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ على أن لها شخصيتها المستقلة حين تقول : "وطبيعي أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن في الأزهر أو في الجامعات الأخرى ، إذ لابد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر". فإذا ما سلمنا بهذه الشخصية

المستقلة للأزهر وكليات جامعته ، فلماذا لا نسلم بدورنا بأهمية أن يكون لنا مناهجنا التي تحقق أغراضنا التي ينبغي أولا أن نحددها بكل وضوح؟

وهنا قد يقول قائل : أليس قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١ ينص على أن أحد أغراض المعاهد الأزهرية هو تهيئة الفرصة المتكافئة لخريجي المعاهد الأزهرية الثانوية للدخول في كليات الجامعات الأخرى في مصر وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالي (المادة ٨٥) ، وينص على أن الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الأزهرية لهم فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التي تجعل الشهادة الإعدادية شرطا للقبول (المادة ٨٨) وبالتالي فإن تطابق مناهج الأزهر مع مناهج التربية والتعليم له ما يبرره ؟ والإجابة بالنفي القاطع إذا ما أخذنا في الاعتبار أن ما يحدث هو العكس حين يلتحق الحاصلون على الشهادة الإعدادية العامة بالمعاهد الثانوية[1] للأزهر بأعداد تفوق بكثير أعداد الطلاب الذين يتوجهون للدراسة بمدارس التربية والتعليم الثانوية بعد الحصول على الشهادة الإعدادية الأزهرية علاوة على أن أحدا لم يطالب وزارة التربية والتعليم بتغيير مناهجها – لهذا السبب – لتتوافق مع مناهج الأزهر ، وذلك بالرغم من أن هذا – لو طالب به أحد – لكان أقرب إلى ما يمليه واقع الأمور.

أما ثاني السببين اللذين سقناهما لعدم تحقيق دراسة اللغات الأجنبية للهدف منها في الأزهر فهو – كما ذكرنا آنفا – من يتولون هذا التدريس ، ولست أرمي من وراء قولي هذا إلى أن أشكك في مقدرة هؤلاء الأساتذة الأفاضل ، إذ أن كل ما في الأمر أنهم كلفوا بما لا يطيقونه ، ولنتذكر قول الله سبحانه وتعالى :{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}" ويرجع تاريخ هذه المشكلة إلى تاريخ إدخال اللغات الأوربية إلى المعاهد الأزهرية ، ففي كتاب فضيلة شيخ الأزهر الأسبق شلتوت – والمشار إليه سابقا – جاء في "البند" الأول :

"تسند دراسة مادة اللغة الإنجليزية إلى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير مكافأة عن الحصص التي تزيد عن النصاب المقرر للمدرس". ولا يخفى على أحد أن

---

(١) المجلة : كاتب المقال بعيد عن الوطن بالولايات المتحدة ، من أجل هذا هو لا يعلم أن إدارة المعاهد الأزهرية ، منعت حملة الإعدادية من غير الأزهر دخول المعاهد الأزهرية الثانوية – منذ ثلاثة أعوام.

بعض هؤلاء الأساتذة قاموا بدراسة اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية ثانية في التعليم الثانوي، وربما لم يوالوا دراستها بالجامعة. أما اللغة الفرنسية فقد كانت أفضل حالا فقد أسندت إلى "أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق الندب"، وكذلك أيضا كان حال اللغتين الألمانية والروسية – واللتين لم يتم تدريسهما فيما أعلم – فقد أسندتا إلى "الأساتذة المتخصصين".

ولست أدري ماذا كان الدافع إلى إسناد اللغة الإنجليزية إلى أساتذة المواد الاجتماعية هل هو القصور في أعداد أساتذة هذه اللغة في مدارس التربية والتعليم ؟ والرد يكمن في أن عددهم بالنسبة للغة الفرنسية أقل وأندر ، ودعك من المتخصصين في اللغتين الألمانية والروسية ، بل لعل السبب يكمن في أن تدريس اللغة الفرنسية كان قاصرا على معهدي القاهرة والإسكندرية ، بينما كانت الألمانية والروسية قاصرتين على معهد القاهرة. وأيا ما كان السبب فإن المشكلة بدأت حين تم إسناد تدريس اللغة الإنجليزية إلى معلمين لم يتخصصوا فيها.

وقد ازداد الأمر سوءا فيما أعلم فانتقل تدريس اللغة الإنجليزية من أساتذة المواد الاجتماعية إلى غيرهم من أساتذة العلوم الأخرى وهم ليسوا أفضل حالا من زملائهم أساتذة المواد الاجتماعية ، وفي معهدي القاهرة الثانويين اللذين عملت بهما ربما كانت نسبة الأساتذة المتخصصين أقل من نسبة غير المتخصصين ، والأمر أكثر سوءا في بقية المعاهد وخاصة في الأقاليم. ولقد كان لخريجي قسم اللغة الفرنسية في كلية اللغات بعض الأثر في هذا السبيل ، ولكن أعداد الخريجين مازالت محدودة بالنسبة لعدد المعاهد الأزهرية الإعدادية والثانوية ، ونتيجة لعمل نسبة ليست بالصغيرة منهم خارج مصر فور تخرجهم ، أو داخلها في مجالات أخرى غير التدريس. ولست أدعي أن كلية اللغات والترجمة تتحمل وحدها هذه المسئولية ، بل يشاركها في هذا خريجو قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بجامعة الأزهر ، والذين يجمعون إلى جانب الإلمام باللغة طرق التدريس وهي لا غنى عنها إذا أردنا أن نطلب إلى القائمين بالتدريس ما يطيقونه.

أما في الجامعة فإن المادة ٦٣ من القانون ١٠٣/ ١٩٦١ تلخص مأساة تدريس اللغات في كليات الجامعة : "للجامعة في حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على

شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين في وظائف مدرسي اللغات إذا كانت لدى المرشح إجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة إلى الوظيفة التي سيعين فيها ، وكأن هذا البند يقول إن الحصول على الثانوية العامة أو ما يعادلها كاف ليؤهل مدرسي اللغات للتدريس بالجامعة بل ربما كان ترفا يمكن التغاضي عنه ، وهذا أمر لا يحتاج إلى تعليق.

والآن يأتي دور السؤال الأخير : وماذا يمكن عمله الآن إزاء هذا الموقف ؟ والرد يكمن في أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلنحدد أولا هدفنا من تدريس اللغات الأجنبية في الأزهر وبصفة خاصة اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ثم لنضع المناهج التي تحقق هذا الهدف في كليات جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية ، وهذا أمر يحتاج إلى سلطة من بيده الأمر ممثلا في المجلس الأعلى للأزهر ومجلس جامعة الأزهر ومدير عام المعاهد الأزهرية، كما يحتاج إلى المتخصصين من أساتذة اللغتين الإنجليزية والفرنسية بكلية اللغات والترجمة ، ومن غيرهم ممن يعنيهم أمر الأزهر. وليهيئ الله سبحانه وتعالى لنا من أمرنا رشدا ، وليوفقنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين والأزهر الشريف.

حُوِّل هذا المقال إلى فضيلة
مدير الامتحانات بالأزهر لإبداء الرأي فيه فكتب :

السيد الأستاذ الدكتور رئيس تحرير مجلة الأزهر الشريف :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد ،،

فإيماء إلى خطابكم المرسل لي بشأن المقال المقدم لسيادتكم من السيد الأستاذ أحمد شفيق الخطيب – بشأن القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م ، الذي استهدف تطوير الأزهر وبشأن المعنى والهدف الذي حققه من إدخال اللغة الأجنبية في المعاهد الأزهرية.

أفيد بأن المقال جيد وكاتبه درس المشكلة بعمق ، بل وعايشها ، وربما ساعده في ذلك أنه كان يعمل بالتدريس في حقل المعاهد الأزهرية ، والذي أود أن أضيفه إلى هذا الموضوع أن ضم مناهج وزارة التربية والتعليم إلى مناهج الأزهر لم يكن هدفا معنيا بذاته وإنما كان الهدف إضافة خبرة وثقافة معينة تعطي الطالب الأزهري ثقافة جديدة وفهما زائدا عن الحد المقرر له يمكنه من أداء مهمته الأساسية وهي نشر الثقافة الإسلامية في ربوع الدول التي تحتاج إلى هذه النوعية من الثقافات ، لكن للأسف أضيف عبء كبير إلى عاتق الطالب الأزهري فأصبح تائها مثقلا بالكثير من المواد الأمر الذي حال دونه ودون النبوغ والتفوق المرجوين له.

لذلك فاقتراح الكاتب تعديل المنهج في اللغة الأجنبية من منهج عام إلى منهج خاص وطلبه اصطلاحات معينة يعيها الطالب ويفهمها في العبادات والمعاملات ويعرفها معرفة جيدة فيستطيع بها أن يتحدث عن الإسلام وينشره في البلاد التي هي في حاجة إلى هذه المعرفة – خير ألف مرة من معرفة كتاب لا يستطيع صاحبه أن يوصل من خلاله كلمة إسلامية واحدة إلى من يحتاج إلى تلك الكلمة وإلى تلك المعرفة.

والله يوفقنا ويهدينا إلى سواء السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

المدير العام للامتحانات

(أحمد عطاسعود)

مدخل لترجمة التناقض النحوي الظاهري في الجنس والعدد في بعض آيات القرآن الكريم*

مقدمة:

خلال شهر رمضان الكريم سنة ١٤١٧ الهجرية (الموافق يناير سنة ١٩٩٧ الميلادية) نشرت الأستاذة/ مايسة عبد الرحمن الصحفية بجريدة الأهرام عدة مقالات جعلت عنوانها الرئيسي هو : "اليقين في عصر العلم" وخصصت مقالين منها لبعض جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . وكان عنوان أحد المقالين : "إعجازات علمية بالقرآن في صورة أخطاء لغوية" ثم استدركت في عنوان المقال التالي فكان "ألفاظ قرآنية تبدو خطأ لغويا ولكن يكمن فيها الإعجاز".

تقول الأستاذة مايسة: "بالقرآن الكريم بعض الألفاظ التي تبدو وكأنها أخطاء لغوية أو إملائية ، حيث لا تنطبق عليها أبسط قواعد اللغة العربية ، فيعجز الفقهاء والمفسرون عن تفسيرها ، وتبدو لمن "في قلوبهم زيغ" وكأنها أخطاء لغوية يجب تصحيحها.... إلا أن هذه الألفاظ والعبارات التي تبدو غريبة .. ما هي إلا عبارات مقصودة بعينها وتحوي في باطنها أوجه إعجاز بالغة الدقة وتشير إلى علوم لم يكن بوسع من يقرأها – قبل كشفها العلمي – إدراكها بحال من الأحوال! " . ثم تضرب الكاتبة أربعة أمثلة من آيات القرآن الكريم هي الآية ٤١ من سورة العنكبوت ، والآية ٣٧ من سورة "فصلت" ، والآية ٦٦ من سورة النحل ، والآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل أيضا.

وبعد قراءة هذين المقالين عن لي أن أقوم بفحص هذه الآيات الكريمة التي تتسم بما يبدو عدم توافق نحوي فيما يتعلق بالجنس أو العدد أو كليهما ، وعلى وجه التحديد أن

---

* **أبحاث المؤتمر الدولي عن الترجمة ودورها في تفاعل الحضارات** ، جامعة الأزهر ، فرع البنات ، ١٩٩٨م ص ص ٢٣٥٥ – ٢٣٨٠.

أفحص كيف تعاملت بعض الترجمات المعروفة والواسعة الاستخدام لمعاني القرآن الكريم مع هذه الاختلافات عن المعايير النحوية العربية . وهذه الترجمات التي رجعت إليها عندما كتبت هذا البحث باللغة الإنجليزية [1] عددها إحدى عشرة ترجمة ، أضفت إليها ترجمتين أخريين عند كتابة هذا البحث باللغة العربية ، هما ترجمة رشاد خليفة ، وترجمة الهلالي وخان لتصبح الترجمات الثلاث عشرة هي: الهلالي وخان ، عبد الله يوسف علي ، محمد علي ، شير علي ، آرثر أربري ، ن. ح. داوود ، محمد محمود غالي ، رشاد خليفة ، الترجمة الصادرة عن مجمع الملك فهد ، محمد مرمديوك بكتول ، ج . م . رودويل ، جورج سيل ، محمد شاكر .

ويتكون المدخل المقترح من ثلاثة مكونات :

(١) تفنيد الادعاء بأن حالات عدم التوافق النحوي هذه "أخطاء" كما حاول بعض المغرضين تصويرها ، وإلقاء الضوء على الإعجاز العلمي الذي تنطوي عليه الآيات الكريمة .

(٢) دراسة الترجمات الثلاث عشرة لمعاني هذه الآيات الكريمة الخمس من حيث مدى توافقها (أي الترجمات) في نقل هذا الجانب الإعجازي إلى اللغة الإنجليزية .

(٣) تقديم بعض الاقتراحات لترجمة هذه الآيات ، نظرًا لأن الغالبية العظمى من هذه الترجمات أجدها غير مرُضية وغير مقبولة .

والآن أنتقل إلى تناول كل من هذه الآيات بترتيب ورود السور التي تقع فيها الآيات في القرآن الكريم :

أولاً: النحل ٦٦: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ .

(١) "Some Apparently Ungrammatical Cases of Gender and / or Number in the Ever-Glorious Qur'an, Faculty of Languages and Translation Studies, No. 28, 1997, pp. 123 - 145 .

(أ) شرح الجانب الإعجازي في عدم التوافق الظاهري:

تقول الأستاذة مايسة عبد الرحمن : ويلاحظ في الآية استعمال لفظ "بطونه" وهو مذكر على الأنعام التي تُخرج الألبان ونحن جميعًا نعلم أن الأنعام التي تُخرج الألبان لابد أن تكون إناثًا فيكون اللفظ الطبيعي (بطونها) وليس "بطونه" .

"الضمير في الآية جاء مذكرًا ومفردا لحكمة بالغة .. فالمقصود من المعنى هو: نسقيكم مما يوجد في بطون ذكور الأنعام لذلك استعمل اللفظ المفرد لأنه إذا استعمل لفظ الجمع بأن يقال (نسقيكم من بطونها) [1] لعاد المعنى على بطون الأنعام بصفة عامة وإناثها بصفة خاصة لأنه بديهي أن الإناث هي التي تفرز اللبن .

* لكن كيف تفرز الذكور اللبن؟

يقول الدكتور (محمد علي البنى) (أستاذ وقاية النباتات بزراعة عين شمس):

"هنا إشارة علمية دقيقة إلى أن اللبن يتكون من هرمونات الذكورة .. والأنثى لا تُخرج اللبن إلا إذا تسببت النطفة الذكرية في إخصاب البويضة وتكوين الجنين مما يعمل في نفس الوقت على تنشيط ونمو الغدد اللبنية حتى يكتمل إفرازها بالولادة .. ولم يكن معروفًا إلا في العصر الحديث أن اللبن يتكون من هرمونات الذكورة" .

" ويعكس هذا الإنجاز العلمي القرآني في هذا العصر البعيد من مئات السنين – حيث لا أحد يعلم شيئًا عن هرمونات الذكورة أو الأنوثة – إعجازًا علميًا تشريعيا حين أذن رسول الله ﷺ للسيدة عائشة أم المؤمنين أن تلتقي بأخ زوج السيدة التي أرضعتها بعد نزول آية الحجاب لأمهات المؤمنين وقال لها ﷺ "إذني له فإنه عمك" . وقد سئل ابن

---

(١) فيما يتعلق باستعمال لفظ (بطونها) في سورة "المؤمنون" في الآيتين ٢١-٢٢ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يشير د. النبي إلى أن الآية لم تخص ذكر اللبن كما هو الحال في النحل ٦٦ إذ أن "بطونها" هنا تعود على المذكر والمؤنث لأنه يعود عليها ، وبقية المنافع أيضا غير شرب ألبانها .. من ركوبها وأكل لحومها" .

عباس عن رجل له جاريتان (امرأتان) أرضعت إحداهما جارية (بنتا) والأخرى غلاما.. أيحل للغلام أن يتزوج الجارية ؟ قال : لا ... اللقاح واحد ! لذلك ذهب جمهور الفقهاء إلى أن اللبن للرجل وهو الذي يتعلق به التحريم ولا ينقطع النسب بالإرضاع عن زوج مات أو طلق فإنه يصبح المتوفى أو المطلق أبا للرضيع وإخوته أعماما له" .

(ب) نتائج فحص الترجمات:

في جميع الترجمات نجد أن كلمة "بطونه" ترجمت إلى their bodies أو their bellies وهي نفس الترجمة التي كانت ستستخدم لو كانت الكلمة القرآنية هي "بطونها" وذلك لأن ضمير الغائب الجمع في اللغة الإنجليزية لا يختلف باختلاف النوع (أي الجنس) . وفي ترجمة سيل هناك حاشيتان لا علاقة لهما بهدف البحث. وتتطابق ترجمة عبد الله يوسف على مع الترجمة الصادرة عن مجمع الملك فهد [1] في استخدامهما their bodies . كما أن في كليهما هامشًا تعليقًا على الضمير their نصه كما يلي:

"their" : (في النص العربي هي "its" في المفرد للسببين التاليين:

١- "الأنعام" هي اسم الجنس ، ويمكن أن تعامل باعتبارها اسما مفردا .

٢- العبرة إنما هي في اللبن عامة ، ولكن اللبن نتاج كل واحدة (من الأنعام) على حدة".

وبالرغم من أن هذا التعليق على مرجع الضمير ومحاولة تفسير عدم التوافق الظاهري فيه في ترجمتي عبد الله يوسف علي ومجمع الملك فهد يعتبران أمرين إيجابيين ، حين ينص على أن الضمير العربي هو its (أو بالأحرى ما يقابله بالعربية) ، فإن التعليق يجانبه الصواب للسببين التاليين:

---

(١) جدير بالذكر أن الترجمة الصادرة عن مجمع الملك فهد هي ترجمة عبد الله يوسف علي بعد تنقيحها عن طريق الاستعانة بالعبارات المثلى من الترجمات الأخرى إضافة إلى اعتماد ألفاظ جديدة في الأماكن التي رؤى ضرورة تصحيحها مع العناية بتحقيق جميع الملاحظات التي وردت إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وهي الجهة التي قامت بتنقية الترجمة و إعدادها.

١- الضمير its ليس محدد الجنس بالتالي فإنه لا يحيط قارئ الترجمة علما بأن الضمير في العربية مذكر .

٢- أن الإشارة هي إلى العدد (العدد المفرد) وليس إلى الجنس الذي هو الأمر المهم في هذه الحالة والذي يعكس الطبيعة الإعجازية لعدم التوافق الظاهري . وأيضا ، فإنه بالرغم من أنه من الصواب القول بأن كلمة cattle (أو بالأحرى "الأنعام") هي اسم الجنس ، فإنه من غير الدقيق القول " إنها يمكن أن تعامل باعتبارها اسما مفردًا لأنه من الضروري الإشارة إلى أن صيغة المؤنث المفرد تستخدم في العربية للإشارة إلى غير البشر وإلى الجمادات ، وكان الأهم الإشارة إلى أن الصيغة المعتادة في هذه الحالة هي الضمير المؤنث وليس "ضميرا مفردًا " . كما أن السبب الثاني الذي تذكره الترجمتان وهو بالتحديد " أن العبرة إنما هي في اللبن عامة ، ولكن اللبن نتاج كل واحدة (من الأنعام) على حدة " يبدو أنه لا يصيب الهدف ، وذلك لأنه يركز على كون الضمير مفردًا وليس مذكرًا .

وبالمثل فإن ترجمة محمد علي تعلق في ملاحظة بالهامش على الضمير their فتقول: "في العربية its " بمعنى أن الضمير العربي مفرد ، وهي ملاحظة تشير إلى العدد على حساب الجنس .

(جـ) بعض المقترحات:

١- أقترح الاستمرار في استخدام their bodies أو their bellies غير أني أقترح أيضًا تغيير الحاشية لكي تكون:

الضمير their في العربية هو مرادف its أو his أي الضمير المفرد عددًا المذكر جنسا، نظرًا لأن كلمة الأنعام هي اسم الجنس وتعامل باعتبارها اسما مؤنثا مفردا (لأنها تشير إلى مخلوقات من غير البشر) .

ويجب أن يتبع هذا الهامش شرح موجز للطبيعة الإعجازية لاستخدام الضمير المذكر على غرار ما تم ذكره في الجزء (أ) .

٢- وهناك اقتراح آخر مؤداه أن نترجم "بطونه" إلى bellies / bodies of the (male) cattle أي "بطون الأنعام (المذكرة)" واضعين كلمة المذكرة بين قوسين ، ومتبعين هذه الترجمة بهامش يشير إلى الطبيعة الإعجازية لاستخدام الضمير المذكر وليس المؤنث. ولابد من أن نحرص على وضع كلمة male (أي مذكر) بين قوسين للإشارة إلى أنها لا ترد صراحة ككلمة مستقلة في الآية الكريمة.

ثانيًا : النحل ٦٨ – ٦٩ : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ .

(أ) شرح الجانب الإعجازي في عدم التوافق التظاهري:

يقول د. البنبي "فبينما كلمة النحل جمع مذكر إلا أن الضمائر التالية مؤنثه ومفردة "اتخذي"، "كلي"، "فاسلكي"، "بطونها" لأن الموكول له هذه الأعمال هي الشغالة المؤنثة وليس الذكور فكل شغالة على حدة عليها القيام بهذه الأعمال .. ولم يستدل بالطبع على الأعمال الموكلة لشغالات النحل من دون الذكور أو الملكات إلا في العصر الحديث بعد دراسة حياة النحل دراسة علمية وثيقة".

(ب) نتائج فحص الترجمات:

بينما لا نجد أية هوامش في ترجمات الهلالي وخان ، شير علي ، أربري، داوود ، خليفة ، بكتول ، رودويل ، شاكر ، فإننا نجد حاشيتين في غالي وأربع حواش في سيل غير أن جميعها لا علاقة لها بغرضنا .

وفي حاشيتين لترجمة محمد علي ، ربما كانت أولاهما ذات صلة جزئية بالموضوع ، يقول: "الضمير في your lord هو thy في العربية" – وهذه إشارة غير مباشرة إلى كون

الضمير مفردًا (ولكن دون إشارة إلى كونه مؤنثا) .

كما أن هناك في كلا عبد الله يوسف علي والترجمة الصادرة عن مجمع الملك فهد حاشية متطابقة نصها كما يلي:

لاحظ أنه بينما الأعمال الفردية الغريزية توصف في العدد المفرد ، فإن نتاج "بطونها" يوصف بالجمع باعتباره نتيجة لجهدها الجماعي".

وهذه الحاشية تنطوي على تفسير جيد لاستخدام صيغة الجمع في كلمة "بطونها" ولكن ينبغي ملاحظة أن الحاشية شرح جيد لعدم التوافق بالنسبة للعدد ، غير أنها تلتزم الصمت حول تفسير عدم التوافق في الجنس ، وهو الجانب الذي يكمن فيه الجزء الأكبر من الجانب الإعجازي .

ومن المشوق أيضا أن نلاحظ كيف جاءت ترجمة كلمة "بطونها" في الترجمات الثلاث عشرة : their bodies في عبد الله يوسف علي ، ومجمع الملك فهد ؛ their bellies في الهلالي وخان ، شير علي ، أربري، غالي ، خليفة ، بكتول ، وسيل ؛ it في محمد علي، وشاكر ، وأخيرًا its bellies في داوود ، رودويل ، وبينما نجد أن استخدام it ربما له ما يبرره جزئيا في ترجمة شاكر على أساس أن الضمير إشارة إلى كلمة bee المفردة (وهي ترجمته لكلمة "النحل") ، فإن المبرر لاستخدامه أقل في حالة ترجمة محمد علي الذي يستخدم كلمة bees وهو بذلك يستخدم ضميرًا مفردًا للإشارة إلى اسم جمع . غير أن هناك بعض التماس للعذر له إذا ما أخذنا في الاعتبار الحاشية المذكورة آنفا التي يشير فيها إلى أن "you lord" إنما هي في حقيقة الأمر "thy lord" مما يعد تلميحا إلى الإفراد . أما فيما يتعلق بترجمتي داوود ، رودويل اللتين تستخدمان its bellies فإنهما تتسمان بما يمكن أن نطلق عليه عدم توفيق من ناحية الحقائق وذلك لأنهما توحيان بأن النحلة المفردة يمكن أن يكون لها أكثر من بطن .

وخلاصة القول أنه في جميع الحالات نجد أن الجانب الإعجازي في الآيتين قد غاب بسبب استخدام ضمير الملكية الجمع الذي لا يفرق في الجنس في الترجمات التسع الأولى، أو بسبب استخدام الضمير المفرد الفاعل it أو ضمير الملكية المفرد its في الحالات الأربع

الأخيرة ، وهما الضميران اللذان لا يفرقان بين المذكر والمؤنث أيضا .

(جـ) مقترحات :

أقترح لترجمة هاتين الآيتين استخدام (female) bee مع وضع كلمة female بين قوسين أو حتى بدونهما ، وذلك قبل كل من الأفعال build ، eat ، follow .

وهناك اقتراح آخر مؤداه الإشارة في حاشية إلى أن صيغة الأمر إنما هي في الصيغة المفردة المؤنثة ، وأن نتبع هذه الملاحظة بشرح يكشف عن الجانب الإعجازي في الآيتين . وجدير بالذكر هنا أن استخدام صيغة الأمر (في جميع الترجمات فيما عدا عبد الله يوسف علي ومجمع الملك فهد) أفضل من استخدام صيغة الكلام غير المباشر ، وذلك لأن صيغة الأمر تمكننا من استخدام صيغة النداء المقترحة علاوة على توافقها مع صيغة الآية الكريمة في اللغة العربية .

وبالمناسبة فإنني أود أن أشير إلى أنني أحسب أن استخدام الاسم المفرد كترجمة لاسم الجنس (الجمع) "النحل" لا يمكن تفسيره أو تبريره . ومما يؤسف له أن هذه هي الحال في عشرة من الترجمات ، وأن صيغة الجمع نجدها فقط في ترجمات محمد علي ، أربري ، غالي .

ثالثا : العنكبوت ٤١ : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ .

أ-شرح الجانب الإعجازي في عدم التوافق الظاهري:

"نلاحظ أن الله تعالى قد ذكر بعد اسم " العنكبوت " المذكر صيغة مؤنثة حيث قال تعالى (اتخذت بيتا).

"إلا أن عالمنا المدقق الدكتور البنبي (...) يرى أنه ليس هناك أي وجه للاستغراب: فالخالق جل وعلا أعلم بمن خلق . فلقد ثبت في العصر الحديث بعد دراسات مستفيضة لعالم الحشرات وطبيعة العنكبوت أن ذكر العنكبوت لا يستطيع أن يبنى بيتا ، والتي تبنى

البيت هي أنثى العنكبوت من خلال مغزل خاص موجود في نهاية بطنها ولا يوجد مثله عند الذكر".

ومن هنا يتضح أنه لو قال تعالى (كمثل العنكبوت يبني بيتا) لكان خطأ علميا لا يمكن أن يصدر عن خالق العنكبوت وخالق الكون كله .. والطبع لن يغفره المتفلسفون المفكرون من أهل القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين .. وستكون فرصة للطعن في صدق الرسالة وأنه من عند الله الخبير العليم . ولعلها تكون حجة لكل ذي عقل وتثبيتا لمن في قلوبهم شك منه.

وربما يقول قائل: ولماذا لم تقل الآية (كمثل أنثى العنكبوت تبني بيتا) حتى يصح لغويا ولا يؤدي إلى هذا اللبس في العصور السابقة على هذا الكشف .

لو حدث ذلك أولا سوف لا يكون في الآية إعجاز في القرن العشرين وثانيًا لن يصبح المثل الذي أراد أن يضربه الله تعالى صحيحًا. لماذا؟!

* يفسر ذلك الأستاذ الدكتور البنبي بأن بيت العنكبوت بالنسبة للأنثى هو بيت أمن يحقق فيه الاسترخاء ويوفر الغذاء والأمان ، لأن هذه الخيوط منسوجة بتداخلات فنية وهندسية خاصة بحث تجعلها شديدة الحساسية لأية اهتزازات خارجية فتعمل على تنبيه العنكبوت وتحذيرها في اللحظة المناسبة لتؤمن نفسها من أعدائها .. كما أن تلك الخيوط بها مادة لزجة بحيث تلتصق بها أية حشرة بمجرد مرورها بالقرب منها ، وتعمل الخيوط على تكبيل الحشرة ، فتنقض عليها أنثى العنكبوت .. فالبيوت توفر للأنثى التي تبنيها الحماية والطعام والأمان . (...) أما بالنسبة لذكر العنكبوت فالأمر يختلف . لماذا؟ عندما تضع الأنثى بيضها تتركه في مكان آمن بحيث يخرج الصغار ذكورا وإناثا يبحثون عن طعامهم بغير بيوت ولا خيوط . وعندما تبلغ الأنثى وتستعد للزواج تبدأ في بناء بيتها من الخيوط التي تجذب الذكر غير القادر على البناء وبعدما يتم التزاوج .. تنقض الأنثى على الذكر فتأكله! .. وهذا الأكل لابد أن يتم حيث أن أنسجة الذكر مهمة في عملية إنضاج البيض .

ومن هنا يتضح مدى وهن البيت الذي تصور العنكبوت أنه بيت آمن له ، حيث كان فيه نهايته وحتفه . وكانت القراءة العابرة للآية توحي بأن المقصود بالوهن هو

ضعف ورقة الخيوط ولكن المغزى كان أعمق وأدق من مجرد الخيوط الضعيفة ... فالوهن والضعف يرجع إلى أهداف وأغراض المحتمي ببيته الذي يوحي ظاهره الحسن بغير حقيقته القائلة ولولا استعمال اللفظ المؤنث في كلمة "اتخذت" بعد كلمة "العنكبوت" ما لفت أنظارنا أن المقصود بوهن بيته .. هو الذكر وليس الأنثى بانية البيت وهذا المثل والتشبيه يجسد لنا مدى ضلال وضياع الذي يتخذون من دون الله أولياء .. فمصيرهم أن يستنفد هؤلاء الأولياء من دون الله منهم حاجتهم ثم ينقضون عليهم يضيعونهم ويهلكونهم .

ولعل هذا التفسير العلمي الحديث يوحي لنا بتفسيرات أكثر ثراء لقوله تعالى في نهاية الآية (لو كانوا يعلمون) حيث إنه ليس من الصعوبة لأي مشاهد عادي أن يعرف ويعلم أن بيت العنكبوت واهن بخيوطه الدقيقة (...) .

فعموم الناس لا يعلمون السبب الحقيقي وراء وهن بيت العنكبوت وأنه شرك وليس مأوى ... خاصة أن الله تعالى يقول في آخر الآيات : (وما يعقلها إلا العالمون).

ب-فحص الترجمات:

لا تُعنى ترجمة داوود بمسألة تأنيث الفعل على الإطلاق بل إنها تهمل ترجمة جزء الآية الذي يرد فيه الفعل . كل من ترجمات الهلالي وخان ، عبد الله يوسف علي ومجمع الملك فهد يستخدم itself (وليس herself) وذلك بالرغم من أن كليهما – مثل ترجمة رودويل . يستخدم ضمير العاقل who [1] وهو ضمير لا يكشف عن جنس العنكبوت. كما تستخدم itself ترجمات محمد علي ، شير علي ، أربري ، غالي ، شاكر التي تستخدم جميعها الضمير المحايد that بدلا من who أو which اللذين يعكسان اختلافا فيما يتعلق بكون الشيء عاقلا أو معاملا كما لو كان عاقلا من ناحية ، أو غير عاقل (أو جماد) من ناحية أخرى .

---

(١) من المشوق أن نلاحظ أننا نجد موقفا عكسيا في ترجمة سيل الذي يستخدم " which makes herself a house " .

أما الترجمات الأربع التي تعكس جنس العنكبوت فهي ترجمات خليفة ، بكتول ، رودويل ، سيل . وبينما يستخدم خليفة her home (ضمير الملكية للعاقلة المؤنثة) ، ويستخدم بكتول she و herself فإن رودويل يستخدم her (كضمير مفعول به) ، ويستخدم سيل herself .

وبصرف النظر عن ترجمة محمد علي التي تتضمن حاشية لا علاقة لها بموضوعنا ، فإن الترجمتين اللتين تقدمان حاشية تتعلق بالجنس هما ترجمتا عبد الله يوسف علي ومجمع الملك فهد . وهذا نص الحاشية التي تتطابق في الترجمتين . «العنكبوت الأنثى أكبر بكثير من العنكبوت الذكر ، وفي العربية فإن اسم الجنس للعنكبوت مؤنث».

جـ-مقترحات:

أقترح تبنى ترجمة بكتول (التي تستخدم she ، herself) ، أو ترجمة سيل ، ولكن مع تغيير which إلى who يهدف تحقيق التوافق مادمنا قد قبلنا "التشخيص" الذي ينطوي عليه استخدام الضميرين she ، herself .

وهناك اقتراح آخر مؤداه استخدام عبارة the (female) spider أو حتى the female spider ، مع استخدام الضميرين it ، itself للإشارة إلى العنكبوت إذا لزم الأمر.

رابعًا: فصلت ٣٧: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

(أ) شرح الجانب الإعجازي في عدم التوافق الظاهري:

يقول الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا (أستاذ الفيزياء بجامعة القاهرة) : "(...) نرى هنا رغم أن الآية تتحدث عن الشمس والقمر وهما مثنى ، إلا أنها استعملت ضمير جمع المؤنث .. ولقد كشف العلم الحديث أن شمسنا هي إحدى نجوم "أو شموس" مجرة الطريق اللبنى "سكة التبابة" ، ويحصى العلماء أكثر من مائتي بليون نجم (أو شمس) في

مجرات الكون المعروف لنا من ناحية أخرى ، لم يعرف الناس حتى عصر الإسلام ونزول القرآن غير قمر الأرض ، لكن جاليليو استطاع بمنظاره الفلكي ، بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام ، أن يكشف أربعة أقمار تدول حول كوكب المشترى .. وتوالى اكتشاف أقمار جديدة للمشترى وباقي الكواكب ، وأصبح عدد الأقمار المعروفة في مجموعتنا الشمسية حتى الآن أكثر من ستين قمرا، ويتوقع العلماء أن يزداد هذا العدد في المستقبل وبهذا تعددت الشموس والأقمار في هذا الكون ، وهو يوافق ما أشارت إليه الآية الكريمة مما اشتملت عليه من إعجاز علمي ولغوي".

(ب) نتائج فحص الترجمات:

جميع الترجمات ، فيما عدا داوود ، رودويل تستخدم created them وعلى العكس من الجمع في العربية الذي يبدأ بالعدد ثلاثة ، فإن الجمع في الإنجليزية يبدأ بالرقم اثنين . ومن ثم فإن ضمير المفعول به them لا يكشف عما إذا كانت الإشارة إلى اثنين أو أكثر . ولو كانت الآية الكريمة تستخدم جملة " خلقهما" لكانت الترجمة قد استخدمت الضمير them أيضا .

وكما أشرنا في الفقرة السابقة فإن داوود ، رودويل هما وحدهما اللذان ينصان صراحة على أن الضمير them يشير إلى مثنى وذلك عن طريق استخدام them both . غير أن هذا لا يعكس حقيقة أن الضمير جمع مؤنث في الآية الكريمة .

أما الإشارة الوحيدة إلى مسألة العدد والجنس فنجدها في غالي ، الذي ينص في حاشية على أن " الضمير العربي جمع مؤنث" ولكن دون تقديم تفسير لذلك .

(جـ) اقتراح:

يتلخص اقتراحي في ضرورة وضع حاشية – كما يفعل غالي – مؤداها أن ضمير المفعول به المتصل بالفعل في العربية في حالة الجمع المؤنث . غير أن هذا ينبغي أن يتبع بتقديم الحقائق العلمية على غرار ما تم ذكره آنفا .

خاتمة

من فحص الترجمات الثلاث عشرة للآيات الكريمة الخمس يمكن أن نصل إلى النتائج العامة التالية:

١- أن هذه الآيات الكريمة ومثيلاتها في القرآن الكريم لا تحتوي على أية "أخطاء" نحوية، ولكنها تكشف عن الطبيعة الإعجازية العلمية واللغوية والبلاغية للقرآن الكريم، الذي نزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

٢- أن مترجم معاني آيات القرآن الكريم إلى الإنجليزية أو أية لغة أجنبية أخرى عليه أن يبذل قصارى جهده لكي ينقل – ولو نقلا جزئيًا – جوانب الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة ، وبخاصة تلك التي تتسم بعدم توافق نحوي ظاهري .

٣- حينما يكون من المستحيل أو من الصعوبة بمكان الكشف عن مواطن الإعجاز التي تضمها الآيات نتيجة لفروق بين اللغة العربية واللغة الأجنبية التي تترجم معاني القرآن الكريمة إليها ، فإنه يجب على المترجم أن يستخدم الحواشي التي يشرح فيها النص العربي ويلقي الضوء على الطبيعة الإعجازية الكامنة فيه .

٤- أن أي مترجم يعتزم ترجمة معنى القرآن الكريم ينبغي عليه – قدر الإمكان – أن يلم بالمعلومات العلمية الأصيلة التي من شأنها أن تساعده في نقل ولو لمحة عن الطبيعة الإعجازية لكلمة الله – سبحانه وتعالى – إلى الناس كافة . وحبذا لو تولت ترجمة معاني القرآن الكريم لجنة تضم علماء متخصصين في فروع المعرفة المختلفة .